﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثية: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ليس للنّاس يوم القيامة إلّا الإذعان للجزاء ولا سبيل للكافرين إلى الإنكار

لمّا أخبر الله تعالى أنَّ كلَّ أمَّة تُدعى إلى كتابِها لأجل عرض الأعمال عليها وجزائِها على ما كانوا يعملون؛ بيَّن أنَّه لا يمكن للنّاس إلّا الإذعان للجزاء ولاسبيل إلى الإنكار، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الآيةَ.

وأيضًا لمّا أخبر الله تعالى أنَّ الجزاء يوم القيامة على جميع الأعمال؛ بيَّن طريقة إخبار النّاس بِما كانوا يعملون في الدُّنيا وطريقة إحصاء أعمالِهم جميعًا وإثباتِها عليهم، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الآيةَ.

وأيضًا على القول بأنَّ المراد من الكتاب في الآية: الكتاب المنزَّل من الله تعالى إلى النّاس؛ يقال في وجه المناسبة: لمّا أخبر الله تعالى بالجزاء؛ بيَّن كيفيَّة ما به يُطبَّق بين كتاب الإنزال وكتاب الأعمال، فما حكم به كتاب الإنزال؛ أنفذه الكبير المتعال، فقال مشيرًا إلى كتاب الإنزال: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنطِقُ﴾: أصلُ (نطق) يدلُّ على كلام أو ما أشبَهَه[2]، ومنه النُّطقُ: التَّكَلُّمُ بصوتٍ، يُقالُ: نطَقَ، ينطِقُ، نُطقًا ونَطْقًا، فهو ناطِقٌ، أي: تكلَّم بصوتٍ وحرفٍ، وضِدُّ النُّطْقِ: الصَّمْتُ والسُّكوتُ، والمَنطِقُ: الكَلامُ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 105.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نطق).
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (نطق).

2) ﴿نَسۡتَنسِخُ﴾: أصلُ (نسخ) يدلُّ على رَفْع شيءٍ وإثباتِ غيره مكانه، يُقالُ: نسخَ الشَّيءَ ينسَخُه نَسْخًا، فهو ناسخٌ؛ إذا رفعه، وثَبَتَ مكانه، وكلُّ شَيءٍ خَلَفَ شَيئًا؛ فقد نَسَخَهُ، وانتَسَخَهُ[1]، ويأتي النَّسخُ بمعنى الإزالةِ، تقولُ: نَسَخَتِ الرِّيحُ الأثَرَ، أي: أزالته، ونسخ اللّهُ الآيةَ؛ إذا أزال حُكمها[2]، ويأتي بمعنى: النَّقْل، كقولكَ: نسختُ الكتابَ؛ إذا نقلته حرفًا بحرفٍ، والنُّسخَةُ: الكتابُ المنقولُ، والتَّناسُخُ: الانتقالُ، والاستنساخُ: طَلَبُ النَّسْخِ[3]، وأمّا النَّسخُ في الآية؛ فمُرادٌ به: الكِتابةُ، أي: إثبات الكتابة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الاستئناف في الآية:

جاءت جملة: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ على طريق الفصل مستأنفة استئنافًا بيانيًّا[4]، فكأنَّ سائلًا يسأل: ما هو طريق إثبات الأعمال على النّاس يوم الحشرِ، فجاء الجواب بقولِه: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾.

كتابةُ الأعمال في الصَّحائف دليل شاهد على النّاس يوم القيامة

نكتةُ استعمالِ اسم الإشارة للقريب:

عبَّر باسم الإشارة للقريب ﴿هَٰذَا﴾ المشار به إلى كتاب الأعمال؛ للتَّنبيه إلى قرب الكتاب منهم وحضورِهم عنده حين ينطق عليهم بالحقِّ، وجاء اسم الإشارة مفردًا؛ لأنَّ المراد جنس الكتاب - كما تقدَّم - فهو مفردٌ لفظًا، وإن كان متعدَّدًا من حيث المعنى، وإفرادُ ضَميرِ ﴿يَنطِقُ﴾ عَلى هَذا الوَجهِ مُراعاةً لِلفظِ ﴿كِتَٰبُنَا﴾، فالمَعنَى هَذِهِ كُتُبُنا تَنْطِقُ عَليكُم بالحَقِّ، ويحتمل أن يكون ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى كتاب شريعة الأمَّة المدعوَّة[5].

التَّعبيرُ باسم الإشارة القريب يفيد قرب الكتاب منهم لينطق عليهم بالحقِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (نسخ).
(2) المناوي، التّوقيف على مهمات التّعاريف، ص: 697.
(3) الرّاغب، المفردات: (نسخ).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 368.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 441، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 368.

فائدةُ الإضافة إلى ضمير العظمة:

إضافة الكتاب إلى ضمير العظمة في قوله: ﴿كِتَٰبُنَا﴾ تفخيمٌ لشأنِ الكتاب وتهويلٌ لأمرِه[1]، وللإشارة إلى أنَّ كلَّ ما ثبت في الكتابِ صدقٌ وحقٌّ وعدل، فإنَّ مقتضى عظمة الكتاب وإضافته إلى اللّه تعالى ألّا يكون فيه إلّا الحقُّ، ولذلك عقب بقوله: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾، كما تفيد الإضافة أنَّه لا يغفل شيئًا، بمعنى أنَّه تعالى يجازي النّاس على القليل والكثير[2].

كلُّ ما ثبت في كتاب الأعمال صِدقٌ وحقٌّ وعدلٌ

التَّوجيه الإعرابيُّ ودلالاته لقولِه تعالى: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾:

يحتمل أن تكون الجملة الفعليَّة: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ في مَوضِع نصبٍ على الحالِ من خبر المبتدأ ﴿كِتَٰبُنَا﴾، أو من المبتدأ ﴿هَٰذَا﴾، والمعنى هذا كتابنا حالَ كونِه ينطق عليكم بالحقِّ، بمعنى: اقتران نطق الكتاب بحضورِه وقربِه من المخاطَبين، ويحتمل أن تكون الجملة الفعليَّة خبرًا ثانيًا لـ﴿هَٰذَا﴾، فيكون قد أخبر عن اسم الإشارة بأنَّه كتاب عظيم قد جمع أعمالكم، وبأنَّه ينطق عليكم بالحقِّ، فيكون قد أخبر بخبرين؛ تعظيمًا للأمر في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون ﴿كِتَٰبُنَا﴾ بَدلًا من ﴿هَٰذَا﴾، والجملة الفعليَّة: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ هي خبر المبتدأ، فيكون قد أخبر عن المسند إليه بالجملة الفعليَّة؛ لتقوية الحكم وتقريره، بمعنى ليس من كتابٍ ينطق عليكم بالحقِّ إلّا كتابنا هذا[3].

تنوُّعُ الإعراب يدلُّ على تنوُّع المعنى وتوسُّعه

بلاغةُ الإسنادِ في قوله: ﴿يَنطِقُ﴾ بين الاستعارة والمجاز العقلي:

إن كان المراد من النُّطق في قولِه تعالى: ﴿يَنطِقُ﴾ معنى الدَّلالة؛ فيكون الفعل ﴿يَنطِقُ﴾ مستعارًا استعارة تبعيَّة[4]؛ لأنَّ الكتاب غير

يوم الجزاء هو اليوم الَّذي يَفتضِحُ فيه الظّالمون، ويفرح فيه المؤمنون

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74.
(2) الطّيبي، حاشية على الكشّاف: 14/ 258.
(3) مكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن: 2/ 663، والعكبري، التّبيان: 2/ 1153.
(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: شاكر، ص: 51، والسّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 381، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 441.

ناطقٍ، وإنَّما يكون النُّطق من الإنسان[1]، وقرينة الاستعارة إسناد النُّطق إلى الكتاب، وبيان الاستعارة في الآية: أنَّه شبَّه الكتاب - الذي هو مقروءٌ - بالإنسان الَّذي ينطق، فيفصِح عمّا في نفسِه، أو يقال: شبَّه الكتاب بمن يصدر عنه البيان، فالكتاب يعرب عمّا فيه، كما يعرب النّاطق المحقُّ، فالجامع بينهما هو البيان والإيضاح بما لا يقبل الشَّكَّ واللَّبسَ، أو يقال: شبَّه الكتاب بشاهد يدلي بشاهدته، ويشهد بالحقِّ، وقد حذف المشبَّه به، واستعار له شيئًا من لوازمه، وهو النُّطق، فقال: ﴿يَنطِقُ﴾ على طريق الاستعارة المكنيَّة التَّخييليَّة، فصار الكتابُ ناطقًا مجازًا، ومن فَهِمَ من شيء معنًى؛ فذلك الشَّيء بالإضافة إليه ناطِقٌ، وإن كان صامتًا، فالمراد من إسناد النُّطق إلى الكتاب إيضاح ما في الكتاب وبيانه، كما يقال: نطق الكتاب بكذا، ونطق التَّنزيل بكذا، أي: بيَّنه بيانًا شافيًا واضحًا لا لبسَ فيه حتى كأنَّه ينطق[2]، وسبب العدول إلى الاستعارة هو أنَّه لمّا كان النُّطق يقتضي سمعًا، وكان المسموع يسمعه كلُّ من هو حاضرٌ عبَّر بقولِه: ﴿يَنطِقُ﴾؛ للإيذان بأنَّ الكتاب يشهد عليكم بما لا مجالَ للإنكارِ أو الشَّكِّ، وأنَّ ما في الكتاب يعلمه أهل المحشر، ولا ينفرد به صاحب الكتاب الَّذي تُقرأ عليه الأعمال، فهو اليوم الذي يَفتضِحُ فيه أهل المعاصي والظّالمون، ويفرح فيه المؤمنون والمتَّقون.

وإن كان المرادُ من النُّطق الحقيقة؛ فيكون إسناد النُّطق إلى الكتاب مجازًا عقليًّا؛ لأنَّه إنَّما تنطق بما في الكتاب ملائكةُ الحساب[3]، وجمهور المفسِّرين والبلاغيّين على أنَّ الكلام على الاستعارة.

نكتةُ استعمالِ مفردة النُّطق دون الكلام:

عبَّر بلفظ النُّطق في قولِه: ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ دون أن يُعبَّر بلفظ الكلام؛ لأنَّ حقيقة النُّطق هو اللَّفظُ الَّذي هو كالنِّطاق للمعنى في ضَمِّه وحَصْره[4]، ويُعبَّر به عن بيان المعنى بأوضحِ شيءٍ وأبلغِه، ويدلُّ كذلك على ثبات المعنى وقصدِه؛ لأنَّ النُّطق في الأصلِ هو العقل المدرِك[5]، وأمّا

(1) الرّاغب، المفردات: (نطق).
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 152.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 368.
(4) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 5/ 81.
(5) الرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نطق).

الكلام؛ فقد يكون مفهومًا، وقد لا يُفهَمُ، فالنُّطق أخصُّ من الكلامِ، ومن التَّعبير بالنُّطق دون الكلام في الدَّلالة على قوَّة المعنى ووضوحِه قول العرب: هو منطيق، أي: بليغ، وقولهم: كتاب ناطقٌ، أي: واضحٌ بيِّن[1]، وقولهم: نطقت الحال، أي: بيَّنت، وأظهرت الدَّلالة المقصودة، ولم يقولوا: تكلَّمت الحال، فكان التَّعبير عن عرض الأعمال يوم القيامة بقولِه: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ أقضى لحقِّ البلاغة؛ لدلالتِه على تبيين المعنى وإيضاحِه بما لا لبسَ فيه، ولهذا أخبر الله تعالى عن سليمان ﷺ بقوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل: 16]، ولم يقل: عُلِّمنا كلامَ الطَّير؛ لأنَّ المراد فهْمُ معنى أصواتِها بأبلغ فهْمٍ وأوضحِه، ولم يكن المقصود تعلُّم كلام الطَّير، فلم يكن سليمان ﷺ يتكلَّم كلام الطَّير، فلكلِّ كلمة في القرآن مع صاحبتِها مقام.

النُّـطـق أخـصُّ من الكلامِ؛ لأنَّه لا يُستعمل إلّا في إيضاح المعنى وإفهامه

بلاغةُ التَّضمين في فعل ﴿يَنطِقُ﴾:

لمّا كان الفعل ﴿يَنطِقُ﴾ يتعدّى بالباء، فيقال: ينطق بكذا لتضمُّنه معنى الصُّدور؛ كانت تعدية الفعل بـ(عَلى) في قولِه: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ مؤذنةً بتضمين الفعل معنى يشهد، ويقضي، فكأنَّ المعنى يدلُّ، ويشهد، ويقضي عليكم بالحقِّ، فضمَّن الفعل معنى ثلاثة أفعالٍ، وهذا من لطائف بلاغة القرآن، ففي تضمين الفعل معنى (يشهد، ويقضي)، إشارة لطيفة إلى أنَّ النّاس يوم القيامة حين ينطق عليهم الكتاب ليس لهم إلّا الاستماع والإصغاء، وليس لهم الرَّدُّ على الكتاب ومناقشته، بمعنى لا ترديد في النُّطق مع المخاطَبين، فهو مثل نطق الحاكم بالحكم، فيكون هذا الوجه من المعنى مقرِّرًا لنكتة العدول إلى النُّطق دون الكلام، فإنَّ الكلامَ قد يكون فيه أَخْذٌ وردٌّ بمعنى أنَّه قد يكون فيه ترديد بين المخاطَبين، والنُّطق ليس كذلك.

كـتـابُ الأعـمـال ينطق، ويشهد بـالـحـقِّ عـلى صـاحـبـه يـوم القيامة

(1) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (نطق).

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف الاستعلاء (عَلَى):

حرفُ الاستعلاءِ فيه معاني التَّسلُّط والقهر

يشير مجيء حرف الجرِّ (عَلَى) في قولِه: ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ إلى أنَّ الكتابَ ينطق من علوٍّ؛ لأنَّه حقٌّ[1]، وهو المناسب لمقام التَّعظيم في قوله: ﴿كِتَٰبُنَا﴾، فلمّا كان المقام مقامَ تهديد ووعيد للكافرين المنكرين للبعثِ والحساب، ويؤذن به الإخبار عن جثوِّ الأمم ودعوتِها إلى كتابِها، وأنَّ اليوم يوم الجزاء اقتُصِرَ فيه على تعديةِ ﴿يَنطِقُ﴾ بحرف (عَلَى).

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿يَنطِقُ﴾:

الكتابُ ينطق بجميع الأعمال يوم القيامة صغيرها وكبيرها

عبَّر بصيغة المضارع في قولِه: ﴿يَنطِقُ﴾؛ للإشعار بتكرُّر النُّطق وتواليه، بمعنى عَرْضِ جميع الأعمال، وفيه تصوير للحالة، وتعجيب ممّا يقع في ذلك اليوم المهيب.

نوع الباء ودلالتها ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾:

الباء في قولِه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ للملابسة، بمعنى أنَّ نطق الكتاب ملتبس بالحقِّ، فكلُّ ما ينطق الكتابُ به هو حقٌّ.

التَّوجيهُ الإعرابي لقولِه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾:

الجارُّ والمجرور ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ حالٌ من فاعل ﴿يَنطِقُ﴾ العائد إلى الكتاب؛ ليفيد أنَّ الحقَّ مقترن بنطق الكتاب لا ينفكُّ عنه؛ ليفيد بلازمِه حقّيَّة الكتاب وحقّيَّة نطقِه.

علَّةُ استعمالِ الحقِّ دون الصِّدقِ:

يوم القيامة هو اليوم المناسب للجزاء ولنطق الكتابِ ولا يومَ غيرُه يؤدّي هذا الغرض

لمّا كان لفظ الحقِّ بمعنى الثّابت الَّذي لا يُسوَّغ إنكاره من قولهم: حقَّ الشَّيءُ يحِقُّ؛ إذا ثبت، ووجب، ويكون في الأقوال والأفعال والمعتقدات، فيعمُّ الأعمال كلَّها، وأمّا الصِّدق؛ فهو في الأصل خاصٌّ بالأقوال[2]، فلمّا كان الأمر كذلك؛ عبَّر بالحقِّ دون الصِّدق؛ للإشعار بأنَّ ما ينطق به

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 253.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حق).

الكتاب لا يمكن إنكاره، وأنَّ ما يشهد عليكم من أعمالِكم لازيادةَ فيه ولا نقصانَ، كما أنَّه لمّا كان الحقُّ أعمَّ من الصِّدق من حيث إنَّ الحقَّ هو وقوع الشَّيءِ في موقعِه الَّذي هو أولى به، والصِّدق هو الإخبار عن الشَّيءِ على ما هو به؛ أفاد أنَّ نطق الكتاب بالأعمالِ في ذلك اليوم وقع موقعه الَّذي هو أولى به، ولهذا صُدِّر الجزاء بلفظ اليوم في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، أي: هذا اليوم هو اليوم المناسب للجزاء ولنطق الكتاب، ولا يوم غيره يؤدّي هذا الغرض.

مناسبةُ الفصل قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾:

كـلُّ مـا يعمله العباد مسجَّلٌ ومثبَّتٌ عليهم في الكتابِ

جاءت جملة: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ استئنافًا بيانيًّا؛ لتفيد التَّعليلَ لنطق الكتابِ عليهم بأعمالِهم من غير إخلالٍ بشيء منها[1]، ففي الاستئناف البيانيِّ إجابة عمّا يخطر بالبال من سؤال، فيقال: ومن يحفظ أعمالَنا على كثرتها مع طولِ المدَّةِ وبعدِ العهد؟ فأجيبوا بهذا الجواب[2]، وفيه دفْعٌ للتَّعجُّب من أن يكون في الكتاب كلُّ الأعمالِ[3]، أي: إنَّما ينطق الكتاب عليكم بالحقِّ من غير زيادة ولا نقصان في ما عملتم؛ لأنّا كُنّا نستكتبُ الملائكةَ ما كُنتُم تَعمَلونَ في الدُّنيا منَ الأعمالِ حسنةً كانت أو سيئة، فلا تعجبوا، ولا تستغربوا، وفي التَّعليل تنبيهٌ للمخاطَبين ومن هم في هذه الدُّنيا بأنَّ كلَّ ما يعملون مسجَّل، ومثبَّت عليهم في الكتاب، وفي هذا تهديدٌ للعصاة والظّالمين، وتأنيسٌ من الحيف والظُّلم للمطيعين والمؤمنين، وإن حُمِلَ الكِتابُ عَلى كُتُبِ الشَّرِيعَةِ؛ كانَت جُملَةُ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ تَعليلًا لِلجُملَةِ قَبلَها باعتبارِ تَقييدِ النُّطق بِأنَّهُ بِالحَقِّ، أي: لأنَّ أعمالَكُم كانَتۡ مُحصاةً، مُبَيَّنٌ ما هوَ مِنها مُخالِفٌ لِما أمَرَ بِهِ كِتابُهُم[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 163.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 253.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 369.

بلاغةُ تركيب ﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾:

عبَّر بتركيب: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾؛ لِما يفيده التَّركيب من معنى تكرُّر الكتابة واستمرارِها باستمرار أعمالِ العبادِ وتجدُّدها، فيفيد التَّركيب دوام الكتابة في الدُّنيا، والمعنى: كنّا على الدَّوام نستنسخ ما كنتم تعملون، ولو قيل: (إنّا نسخنا)؛ لَما أفاد هذا المعنى؛ لِما يفيده الفعل الماضي من الدَّلالة على وقوع الكتابة مرَّة واحدةً.

تكرُّرُ الكتابة في صحائف الأعمال واستمرارُها باستمرار أعمالِ العبادِ وتجدُّدها

دلالةُ السّين والتّاء في ﴿نَسْتَنسِخُ﴾:

السّين والتّاء في قوله: ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ بمعنى الطَّلب، والمعنى: نطلبُ نسْخَ ما تعملون بمعنى كتبِه وإثباتِه عليكم، والمراد نأمرُ الملائكة بنسخ أعمالِكم وإثباتِها في الصَّحائف[1]، ويحتمل أن تكون السّين والتّاء للمبالغة في نسخِ الأعمال وتثبيتِها؛ لأنَّ نَسَختُ، واستنسختُ بمعنى، مثل: عَجِبتُ، واستَعجَبتُ، وليس من فرقٍ في المعنى بين اللَّفظين إلّا معنى المبالغة، فعُبِّرَ بلفظ ﴿نَسْتَنسِخُ﴾، وإن كان أصلُ النَّسخ أن يكون الخطُّ منقولًا عن أصلٍ، ولكن قد يُستعمَلُ لابتداء النَّسخ بقصد أنَّه قد ثبت، فالمعنى: إنّا كنا نقيِّدُ كلَّ ما عملتم، ونثبِّته[2]، ويحتمل كذلك أن يكون ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ بمعنى: نأخذ نسخته، وذَلِكَ أنَّ الملكين يرفعان عمل الإنسان، فيثبت اللّه مِنهُ ما كانَ لَهُ فيهِ ثَوابٌ أو عِقابٌ، ويَطرحُ مِنهُ اللَّغوَ من الكلام، وعلى وفق ما تقدَّم، فليس المراد من ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ النَّقلَ من اللَّوح المحفوظ، وإن ذكر هذا الرَّأي بعض المفسِّرين[3].

الملائكة مأمورون بنسخ الأعمال وإثباتِها في الصَّحائف

بلاغةُ المجاز العقلي في ﴿نَسْتَنسِخُ﴾:

إسناد الفعل ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ إلى ضمير العظمة، أي: إلى اللّه تعالى مجاز عقليٌّ علاقتُه السَّببيَّة؛ لأنَّ اللّه أمرَ الحفظة بكتابة الأعمال

كلُّ ما تكتبه الملائكة في صحائف الأعمال هو بعلم الله تعالى

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 152، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/ 189.
(2) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 13/ 364، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 89.
(3) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 2820.

وتثبيتِها[1]، ونكتةُ التَّعبير بالمجاز العقلي الإشعار بأنَّ كلَّ ما يكتبونه هو بعلم الله تعالى، كما أنَّ فيه زيادة في التَّهديد وتربيةً للعصاة، فإنَّ المرتكب للمعاصي؛ إذا علمَ أنَّ الله تعالى هو الَّذي يكتب أعمالَهُ، يركبه الحياء والخوف والوجل؛ فلا يعمل المعصية.

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ وصلته:

أفاد الاسم الموصول ﴿مَا﴾ العموم، بمعنى: أنَّه تعالى يستنسخ جميع الأعمال الَّتي كانت في الدُّنيا صغيرها وكبيرها، وعبَّر بتركيب: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ للإشارة إلى تكرُّر أعمالِكم واستمرارِها في الدُّنيا، وإلى أنَّكم كنتم تعملون الأعمال عن عمدٍ حتَّى صرتم مطبوعين عليها.

سرُّ اختيارِ العمل دون الكسب:

عبَّر بـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ دون تكسبون؛ لخَصوصيَّة لفظ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ المناسب للسّياق؛ لأنَّ لفظ العمل مشعر بالعلم بهذا العمل؛ ليفيد أنَّه تعالى يعلم جميع ما يُكتب في الكتاب كما أنَّ في اللَّفظ إيماءً إلى أنَّ ما يُكتب هو الَّذي يكون عن قصدٍ، ولمّا كان الكلام يشمل المؤمنين والكافرين؛ عبَّر بلفظ يتناول الفريقين، فقال: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دون أن يقال: (كنتم تكسبون).

تُستعمل لفظة العمل فيما كان مقصودًا وممتدًّا زمانه

نكتةُ حذف مفعول ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

حُذِفَ مفعول ﴿تَعْمَلُونَ﴾، وهو العائد إلى الاسم الموصول ﴿مَا﴾، وأصل الكلام ما كنتم تعملونه، وإنَّما حذف المفعول؛ لتقرير عموم ﴿مَا﴾، فيشمل اللَّفظ جميع الأعمال جليلها وحقيرها، كما أنَّ في الحذف رعايةً للفاصلةِ.

إنـــزالُ الفعل المتعدّي منزلة الفعل اللّازم للتَّعميم

براعةُ الجناس التّام بين الفاصلتين:

من لطائف الجناس في هذه الآية مع الَّتي قبلها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 370.

كتابة الأعمال في الصَّحائف على وفق الواقع، والجزاء على وفق ما هو مكتوب

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو الجناس في التَّركيب الموصولي: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، واللَّفظ واحدٌ، والمعنى يختلف، ففي الآية السّابقة تعلَّق الموصول وصلته بالفعل ﴿تُجْزَوْنَ﴾، فدلَّ على أنَّ الجزاء لجميع الأعمال الَّتي كُتبت في الكتاب، وفي هذه الآية تعلَّق الموصول وصلته بالفعل ﴿نَسْتَنسِخُ﴾، فدلَّ على استنساخ الأعمال الَّتي كانت في الدُّنيا، والنُّكتة في الجناس بيان عدل الله تعالى في القضاء بين العباد، فالتَّركيب الأوَّل يفيد أنَّ الجزاء على وفق المكتوب، والتَّركيب الثّاني يفيد أنَّ الكتابة على وفق الواقع، فلا ظلمَ في الكتابة، ولا ظلمَ في الجزاء.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

النُّطق والكلام:

النُّطق توصف به المخلوقات، ولا يوصف به الله تعالى، والكلام يوصف به الله تعالى كما يوصف به العباد

تقدَّم أنَّ النُّطق هو اللَّفظُ الَّذي هو كالنِّطاق للمعنى في ضَمِّه وحَصْره[1]، والفرق بينه وبين الكلام أنَّ النُّطق إذا أُطلِق؛ فيكون المراد التَّعبير عن المعنى بأوضحِ طريقةٍ وأبلغِها، والنُّطق يوصف به المخلوقات، ولا يوصف به الله تعالى؛ لأنَّ النُّطق في الأصلِ هو العقل المدرك[2]، وأمّا الكلام إذا أُطلِق؛ فقد يكون مفهومًا، وقد لا يُفهَمُ، فالنُّطق أخصُّ من الكلامِ؛ لأنَّ النُّطق لا يُستعمل إلّا في ما كان بيِّن الدَّلالة، ومنه قول العرب: هو منطيق، أي: بليغ، وقولهم: كتاب ناطقٌ، أي: واضحٌ بيِّن[3]، وقولهم: نطقت الحال، أي: بيَّنت، وأظهرت الدَّلالة المقصودة، ولم يقولوا: تكلَّمت الحال، فأوثر لفظ: ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ دون أن يقال: (يتكلَّم)؛ لأنَّ المرادَ ينطق بأوضح معنى بحيث لا سبيل إلى المراجعة والمناقشة.

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 5/ 81.
(2) الرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نطق).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (نطق).

الاستنساخ والكتابة:

الاستنساخ نقل صـورة الـشَّيء مـن غـير زيـادة ولا نـقـصـان، والكتابة أعمُّ من الاستنساخ

أصل النَّسخ يدلُّ على النَّقل والتَّحويل، ومنه نسخ الكتاب، وهو نقل صورتِه المجرَّدة إلى كتاب آخر؛ وذلك لا يقتضي إزالة الصّورة الأولى بل يقتضي إثباتَ مثلها في مادَّةٍ أُخرى، فالنَّسخ: هو اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرفٍ[1]، ونسْخُ الأعمال بمعنى كتابتها، أي: نقل صورة العمل وتحويله إلى كتابةٍ حرفًا بحرفٍ من غير زيادةٍ ولا نقصان، وأمّا الكتابة؛ فهي ضمُّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطِّ، والكتابة تكون ابتداءً، ولا تقتضي نقلًا من موضعٍ إلى موضعٍ آخر، كما في النَّسخ، ونكتة التَّعبير بلفظ ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ دون أن يقال: نكتب هو أنَّه لمّا كان العمل على شكلِ صورةٍ، وهو حدث غير ثابت؛ كانت كتابته تفيد أنَّه قد نسخ، ونقل من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى، ومن موضعٍ إلى موضعٍ آخر، بمعنى نقل صورةِ العملِ إلى كتابة ثابتة في الصُّحف، ويكون النَّقل من غير زيادة ولانقصان، فيكون طبق الأصل، وليس من لفظٍ يؤدّي هذا المعنى في النَّظم سوى لفظ ﴿نَسْتَنسِخُ﴾.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نسخ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"